

الترجمة الأدبية

بن بيرنيس ياسمينه/ جامعة وهران

I- ما الترجمة الأدبية ؟ :

الترجمة الأدبية من أهم موضوعات الترجمة ، والمقصود بها هو إعادة صياغة نص أدبي (1) في قالب لغوي وثقافي جديدة ، نقل المعاني بكل ظلالها والاهتمام بالجوانب الجمالية في النص من انسجام وتناسق بين الألفاظ ، وتحديد دورها في نقل الدلالات ...

والترجمة الأدبية - التي تتبوأ مكانة مرموقة في تاريخ الشعوب - عمل إبداعي خلاق يساهم بشكل أو آخر في إثراء الجانب الجمالي من الحياة . فهي تهدف أساسا إلى نقل الشحنة الانفعالية التي يتضمنها النص الأصلي مع المحافظة على الشكل الفني الذي يميز هذا النص ، نقل المعنى وخصائص الأسلوب بدقة متناهية بحيث يفهم في اللغة الجديدة ، ويحدث ما أمكن في لغة الهدف الأثر نفسه الذي أحدثه في لغة المصدر ، مع مراعاة اختلاف خصائص اللغتين من حيث مدلولات الكلمات ومصطلحات اللغة وتراكيبها وبناء الجمل ...

والترجمة الأدبية من أهم وسائل النقل للأدب والثقافات ، جسر ضروري لفهم " الآخر " وتحليل مكوناته الجمالية والنفسية والاجتماعية ... ويبدو أن هذا النوع من الترجمة قد تحقق وانتشر عن طريق الكتابة والنشر والتوزيع ، إذ كان ، على امتداد التاريخ الثقافي للإنسانية ، ومنذ وجدت آداب قومية مكتوبة بلغات مختلفة ، هي الشكل الأبرز للعلاقات التي نشأت بين تلك الآداب . فمن خلالها كان كل شعب يتعرف على آداب الشعوب الأخرى ، فيستمتع بها جماليا ، ويستقي منها معلومات وافرة حول الواقع الاجتماعي والحضاري لتلك الشعوب . وكان الدور الذي مارسته هذه الترجمة دورا تجديديا باستمرار . فالشعب الذي يستقبل آداب الشعوب الأخرى ويستوعبها يطلع على ما في

تلك الآداب من أشكال وأساليب وتقنيات ومن مواضيع ومضامين وأفكار ، فيتأثر بها إلى هذا الحد أو ذاك (2) .

صحيح إن الترجمة الأدبية تساعد على سبر أغوار شوامخ الآثار الفنية وتلعب دورا أساسيا في ازدهار الآداب ، ولكن هل هذا النوع من الترجمة ممكن ؟ وهل نترجم النص الأدبي حرفيا أو بتصرف ؟

في الحقيقة إن ترجمة النص الأدبي عملية صعبة ، تتطلب كفاءة لغوية عالية ومعرفة دقيقة شاملة . فهذا النوع من الترجمة هو بمثابة نقل جهاز أدبي متشعب ، له ملابساته الداخلية والخارجية التي نشأ وترعرع فيها ، وبالتالي زرعه بكل خصائصه في جهاز أدبي مغاير ... (3) ويبدو أن " الزارع " مهما حاول أن يكون وفيما للغة المصدر أو اللغة المترجم فإن جهده يبقى قاصرا في تحقيق مبتغاه (أي زرع هذا الجهاز) لأنه سيجد نفسه مضطرا ، عاجلا أو آجلا للخروج من قيود النص الأصلي وحدوده . وهذا الخروج قد لا يؤثر بالضرورة على المحتوى أو الرسالة المتضمنة ، بل ربما قد ينحصر تأثيره على الشكل أو الطريقة...

هذا الكلام يعني أن الترجمة الأدبية ممارسة معقدة وشائكة ، يتمثل مسعاها في نقل نص من منظومة لغوية إلى أخرى تتأسس على تفاعلات ثقافية ، جمالية وأسلوبية . أما المترجم للنص الأدبي فينبغي أن لا يعتمد فقط على تصريحات النص بل يذهب إلى ما وراءه وخلف ظلاله ، إلى الخطاب الذي قيده الكتابة ، إلى الباطن والغامض والكشف عن المعاني والدلالات . فمهمته

لا تنحصر في نقل دلالة الألفاظ أو ما يسمى بالإحالة Reference (أي إحالة القارئ إلى نفس الشيء الذي قصده صاحب النص الأصلي) بل لابد أن تتجاوز ذلك إلى المغزى بل إلى التأثير الذي يفترض أن المؤلف قد اعتزم إحداثه في نفس المتلقي (4) .

صحيح إن العديد من النقاد قد ادعوا عبر التاريخ أنه من غير الممكن ، إطلاقا وضع أفكار عمل أدبي ما وأحاسيسه وشكله وأسلوبه بلغة أخرى دون أن يفقد هذا العمل الكثير من

خصائصه ، وصحيح أيضا أن الترجمة الأدبية " ليست نزهة اعتباطية في رحاب النصوص بل هي مكابدة شاقة مع المعاني والصيغ ومحك نزيه لقابلية اللغة المترجمة ومدى تسامحها وقدرتها على استيعاب لغة الغير بمحملها الفكري والحضاري عامة " (5) ولكن الأهم من ذلك كله أن هذا النوع من الترجمة قد اعتنى به الناس في كل مكان وزمان وظل يمارس إلى حد الآن في جميع أنحاء المعمورة ، مضيفا كل يوم تقاليد أدبية جديدة قادرة على التأثير في التجارب والأحاسيس والأساليب (6) . فهو لا يفتح آفاقا رحبة أمام الآداب القومية وإنما يشكل أيضا وسيلة من وسائل التواصل لا غنى عنها ، تساعد على تقوية وشائج التفاهم بين الشعوب ...

وقد لا يختلف اثنان أن ترجمة نص أدبي أصعب بكثير من ترجمة نص علمي (7) ، لأن النص الأدبي ليس فكرة فصح بل تجربة إنسانية تحمل هموم الأديب وتصوراته المختلفة للحياة . وليس غريبا أن يشترط في المترجم الأدبي أن جميل قارنا ممتازا ومبدعا في عمله قادرا على نقل النص المسد الفني بنوع من الأمانة : فما من شك أن الأثر الأدبي نص لغوي يحقق تأثيره الجمالي والفكري من خلال شكله جيدة والأسلوبي في المقام الأول لا من خلال موضوعه أو محتواه ، فإذا كانت نوعية الترجمة غير شرط فإن العمل الأدبي يفقد أدبيته وبالتالي تأثيره وقيمه (8) وفي الحقيقة ، إن الأمانة في الترجمة الأدبية أساسية لا يمكن الاستغناء عنه ، شرط شغل الـ هي والمترجمين على مر العصور : فما المقصود بها ؟ وهل هو مطلب يمكن تحقيقه أم أنها حلم لا يجتمع بغيره من الشر وبعبارة أخرى : إلى أي حد تكون الترجمة وفية وأمانة سية الأصلي ؟ (9)

إن مثل هذه الأسئلة جسدت إشكاليات أسويين للمشتغلين بنظرية الترجمة (10) . ومن الملاحظ أن الأصلي تتأرجح ما بين الاعتناء بالأشكال اللسانية للنص المصدر التكيف الحر مع النص بين احترام المحتوى العام للنص الأصلي

أي تمرير المعنى مع إنتاج نفس الأثر عند المتلقي والاعتناء بالترجمة الحرفية الترويقية فهناك من يؤكد على ضرورة تحرر المترجم من النص الأصلي لأنه ليس عبداً له وعليه أن يجتنب كل حرفية بل يكفيه أن يستخلص زبدته بدون أن يمس خصائصه ومميزاته وثمة من يرى أن مهمة المترجم الأدبي لا تنحصر في نقل روح النص بأمانة وإنما تتعداه إلى الوفاء بشكل الأسلوب ونمط الكتابة . وهناك فريق آخر يشترط في الترجمة خفة الروح وحضور ألبال مع القدرة على السبك والحبك والتعبير الفصيح السليم ، وكل ذلك من أجل إبداع نص يحدث نفس الأثر الذي تركه النص في وسطه الأصلي ، أي نقل " اللذة الجمالية " للأثر الفني . يقول أحد الباحثين : " حينما قرر فيكتور هوجو منع الموسيقيين من وضع لحن لإحدى قصائده ، كان يعبر في الواقع عن استهجانه لكثير من الألحان التي أساءت إلى جمالية الصور والتعبير النابعة من دواخل أعماقه ، اعتقاداً منه باستحالة ترجمة كلماته إلى مجموعة من النوبات العاجزة عن سبر غور أحاسيسه ... ولو كان الأمر بيد الكثير من الكتاب لا اتخذوا نفس الموقف لمنع ترجمة نصوصهم إلى لغات أخرى . فهم الذين يحلمون بكل كلمة صادرة عنهم يتذمرون أمام تلاشي صورهم وتعبيرهم وانجرافها صاغرة تحت ضغط اللغة الأخرى . ولا يجدون من يصبون عليه جام غضبهم سوى ذلك المترجم الذي التصقت به ، وإلى الأبد ، تهمة الخيانة .

وفي الواقع ، إن هذا التذمر لا يمكن تبريره إلا بعدم فهم دور المترجم الذي يتحرك عادة عبر نصوص ملغومة بكثرة التأويلات ، وعليه هو أن يختار إحداها لتمريرها للقارئ يفترض فيه عدم الدراية بلغة النص الأصلية ، وبالتالي عدم استيعابه للمراجع الثقافية المبنوثة في ثنايا هذه اللغة " (11).

وفي الحقيقة إن النص الأدبي الرفيع يستلهم أساساً جماليته من لغته الخاصة وتعداد صوره الأسلوبية والبلاغية والثقافية ، التي تفتح أبواب التأويل في وجه القارئ . وهذا يعني أن ترجمة مثل هذه النصوص عملية معقدة فيها ما هو لغوي وفيها ما هو جمالي وفيها أيضاً ما هو ثقافي . ولعل "

أهم ما يواجهه المترجم ساعة القيام بعمله هو تساؤله عن الإمكانات التي يوفرها له النص لكي يكون أميناً . فهو دائماً أمام تصورين لا ثالث لهما : إما أن يقرب القارئ من النص الأصلي باحترام شكله الخارجي ، وإما أن يكيف معانيه ليتوافق مع البنيات الثقافية للغة المترجم إليها . وبالطبع ، فإن كلا من الاختيارين يحتم نوعاً من التنازل . فالذي يدافع عن حرفية الترجمة في تتبعها لخطوات النص الأصلي يتنازل عن إيصاله في قالب يسهل القراءة . والذي يتوخى البحث عن ميكانيزمات كفاءة بتكليف النص داخل ثقافة الوصول يفقد في أغلب الأحيان تلك المكونات الأسلوبية لكل كاتب " (12)

أ- البعد اللغوي :

إن أول شرط ينبغي أن يتوفر في المترجم هو قدرته على فهم النص فهماً لغوياً ، صحيحاً ، أي أن يكون قادراً على تفسير المفردات والعبارات الواردة فيه قصد نقلها بكل وضوح إلى اللغة الهدف (13) . وهذا يعني أن تحليل العناصر اللغوية في النص عملية لا بد منها من أجل اكتشاف أهم مميزات النص الأصلي وبعض أوجه الصعوبة التي يمكن أن يواجهها المترجم في مجال اختيار الألفاظ والتعابير والمصطلحات وأسلوب تناول النص (14) .

ولعل أهم ما تطرحه اللغة الأدبية من مصاعب هو تعدد مستويات الفهم . فالمترجم الذي يفترض فيه أن يكون ذلك القارئ / النموذج لا يستطيع بأي حال من الأحوال تجاوز بعض الكلمات أو التعابير بحجة عدم فهمها . فهو مرغم أمام هذه اللغة المتعددة المعاني على اختيار أقربها وأنسبها لمنطق متولد عن لغة معنية في فضاء وزمان معينين (15) .

لقد أثبت اللغويون (سوسير / مارتيني ...) أن اللغة ليست قائمة من الكلمات وأنها لا تمثل متصورات ذهنية معطاة سلفاً . فمعجم أية لغة (أي مفرداتها) ليس مجرد قائمة من الكلمات ينهل منها المتكلمون عند الحاجة ، بل هو معجم مرتبط أيضاً ارتباطاً بالواقع المحيط بالمتكلم ، وكل كلمة من كلماته قابلة للتطوير والتجاوز تبعاً لتطور مسار الإنسان عبر العصور . الأمر الذي يعني أنه من الصعب للغاية أن تتطابق

لغتان تطابقا كلياً أو شبه كلي وأن معرفة الكلمات وحدها في الترجمة غير كافية (16) بل لابد من معرفة الأشياء التي يتحدث عنها النص المستهدف وإدراك خلفياتها الحقيقية . وليس غريباً أن يعتمد المترجم إلى التحوير أو التغيير في نظام جملة كان يقدم كلمة ويؤخر أخرى ، وكان يربط بين جملتين أو يفصل بينهما ، إذ أن كل لغة تصنف مفرداتها بكيفية معينة . وما المفردات سوى حلقات في عقد أو سلسلة ، تتحكم قواعد معينة في ترتيبها ومنطقها (17) .

ويبدو أن الترجمة تلعب دوراً أساسياً في إثراء اللغات . فعبرها " تنفتح النصوص على بعضها ويجري حوار خفي يعكس تلك العلاقة الحميمة التي تربط بينها ، وتبين كل لغة عن

ثرائها أو ينفض فقرها ... على هذا النحو يتيسر لهذه الترجمة أن ترعى هذا الحوار الشاق الذي يجبر كل " طرف لغوي" على الانسلاخ على الذات والامتثال لمعايير التجدر والانسحاب والإبانة عن المقدرة ، لأن قوة اللغة تكمن في كفاءتها التعبيرية " (18) .

من الواضح ، إذن ، أن الترجمة لا تعتمد على نقل الألفاظ والتراكيب اللغوية فقط (19) ، بل على الأساليب والوسائل الفنية الأخرى التي يلجأ إليها الكاتب . ومن الواضح أيضاً أن المترجم لا ينبغي أن يلتصق التصاقاً كلياً بالأصل " وينسخ نفس التراكيب بنفس المنطق الذي يحكمها في لغتها ، ووفق نفس الإيقاع الذي ينظمها في نص الكاتب ، بل يكفيه أن يلتزم الدقة والأمانة الخلاقة ويحترم الجو العام الذي يميز كل لغة عن سواها حتى توحى الترجمة على الأقل بمرجعيتها " (20) .

لم تعد الترجمة اليوم نقلاً للرمز اللغوي *Signe* *Linguistique* وهو الدال وإنما هي نقل للمعنى أو المدلول . فكل لغة تصور " تجربة أصحابها " الناطقين بها وهي تشمل ، تبعاً لذلك " تصورها للعالم " تنقلته الأجيال وتوارثته عبر الأزمنة المختلفة ... وقد لا نشك في أن نقل مجال من المجالات في حضارة من الحضارات لا يكون سهلاً هيناً إذا لم يوجد له قرين أو مثيل في حضارة اللغة المنقول إليها .. أما إذا تحدثنا عن القيم

والمجردات والرموز فهنا يكون الاختلاف في تحديدها بين أفراد المجموعة البشرية الواحدة بل بين أفراد العائلة الواحدة ، فما بالك بنقلها من لغة إلى أخرى (21) .

ولا ينبغي أن ننسى أن اللغة الأدبية سلسلة من الإحياءات والإحالات والتخييلات ، ويعبارة أخرى : أن جمالية النص الأدبي ليست في طابعه الخبري أي فيما يفيد فقط ، بل في مادته اللغوية (ألفاظه وتراكيبه) وإضافي أحاسيسه وروحه وسحره وتأثيره .
ب - البعد الثقافي :

ولئن كانت الترجمة تتوسط بين عالمين مختلفين لتربط بينهما بشكل أو آخر فإنها تتحمل مسؤولية أخرى تتجاوز بنية النص اللغوي الذي يتجاذبها المنظرون اللسانيون ، ونقصد بذلك البعد الثقافي للنص المستهدف ، هذا النص الذي مهما اختلفت مضامينه فإنه يحمل شحنة ثقافية (22) ومرجعية لا بد من أخذها بعين الاعتبار وبأمانة أيضا ومهما كانت طبيعة التباعد بين اللغتين (جغرافية ، لسانية ، حضارية ...) من هنا تأتي أهمية بعض العلوم التي ينبغي أن يعتمد عليها المترجم مثل علم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا في حل المشاكل التي يطرحها هذا البعد الثقافي وتجاوز عقباته .

ويرى العديد من الباحثين أن هذا الاختلاف بين الثقافات يسبب صعوبات كثيرة للترجمة (23) ، قد تفوق كثيرا الاختلافات في التراكيب اللغوية . ولهذا أصبح من الضروري معرفة الطرق التي يمكن من خلالها نقل الكلمات والعبارات ذات السمات الثقافية الخاصة . ومما لا شك فيه أن الترجمة تصبح أكثر صعوبة في اللغات التي تختلف في أصولها مثل العربية والإنجليزية ، فاللغة العربية لغة سامية واللغة الإنجليزية لغة هندية أوروبية وهذا يعني أن مترجما مثل مترجم رواية " الشيخ والبحر " إلى اللغة العربية قد واجهته مشاكل عدة ، إن على المستوى اللغوي وإن على المستوى الثقافي . فهو يتعامل مع لغتين مختلفتين كل الاختلاف وثقافتين متباعدتين كل التباعد (24) .

ولابد من الإشارة هنا إلى أن اللغة الواحدة تحتوي على مظاهر ثقافية متنوعة على مستوى المفردات والتراكيب والتعابير . وكلما تميزت اللغة بدقتها وتحديدها كلما تميزت المظاهر الثقافية فيها بصورة أوضح وأصبحت الترجمة أكثر دقة وصعوبة . فثمة مفردات مثل كرسي ، طاولة ، قمر ، تفهم بسهولة عند نقلها من لغة وثمة كلمات أخرى مثل إمام ، مفتي ، الشيخ ...

يصعب نقلها إذ أنها خاصة بالثقافة العربية ولا يمكن أن نجد مقابلا مشابها لها في اللغة المنقول إليها .

ولعل الهدف الذي ينبغي أن يسعى إليه كل مترجم عند نقل الألفاظ يتمثل في تحديد معناها كما يرد في السياق الثقافي (Contexte Culturel) لكي يسمح للقارئ الذي لا يعرف ثقافة اللغة الأصلية فهم معنى الكلمة الأصلية أي لا بد عليه أن يتجاوز السياق اللغوي إلى السياق الثقافي . فمن الضروري ، إذن ، أن يمتلك ثقافة عامة واسعة ، أي أن يكون ملما إماما شاملا بحضارة البلد الذي يترجم نصوصه يقول جورج مونان: " يسلم الناس اليوم بوجود ثقافات أو حضارات عميقة الاختلاف وتشكل عددا يساويها من " رؤى العالم " المختلفة ... والسؤال هو هل يمكن لهذه العوالم العميقة الاختلاف أن تتفاهم ، أو هل هي تتفاهم (أي تترجم أيضا) " (25)

من الواضح ، إذن ، أن هناك حواجز ثقافية تنتصب بين الشعوب ، حتى بين تلك التي تنتمي إلى دائرة حضارية واحدة كشعوب القارة الأوروبية . ومن الطبيعي أن تكون تلك الحواجز أكبر وأضخم عندما يتعلق الأمر بأميتين تنتميان إلى دائريتين حضاريتين مختلفتين جغرافيتين بعيدتين عن بعضهما البعض . ومن الممكن أن تعلق تلك الحواجز وترتفع عندما يتوافر عامل ثالث وهو اختلاف درجتي التطور الاقتصادي والاجتماعي (26) . ومما لا شك فيه أن هذه الاعتبارات الثلاثة متوافرة جميعا في حالة أميتين مثل الأمة العربية والأمة البريطانية ، إذ تفصل بينهما مسافات ومساحات شاسعة ، فضلا عن أن المجتمع البريطاني مجتمع صناعي متطور من النمط

الرأسمالي الحديث ، أما المجتمع العربي فهو مجتمع متأخر نسبيا غير صناعي .

إن البعد الثقافي يلعب دورا أساسيا لا يمكن إغفاله في عملية الترجمة . ولقد ناقش العديد من النقاد - وعلى رأسهم يوجين نيدا - أساليب ترجمة الكلمات والتعابير الثقافية وذلك من خلال تقسيمها إلى المجموعات التالية:

- كلمات ترتبط بالثقافة البيئية وتشمل : حياة النبات والحيوان والسهول والهضاب .

- كلمات ترتبط بالثقافة المادية وتشمل : الطعام والشراب والألبسة والمنازل ووسائل النقل .

- كلمات ترتبط بالثقافة الاجتماعية هي متنوعة وعديدة منها ما يختص بالعمل وأوقات الفراغ والمناسبات المختلفة .

- كلمات ترتبط بالثقافة الإيديولوجية وتشمل المؤسسات والمفاهيم السياسية (27) .

هذه المجموعات (المستويات) المشار إليها تتطلب من المترجم أن يكون ملما إماما كاملا بالأوجه الثقافية للنصوص التي يترجمها فضلا عن المميزات اللغوية والثقافية للغة التي يترجم إليها . فالترجمة ليست نقلا للمعنى فقط وإنما نقل للسياق الذي يقصر الكلمة على معنى واحد من معانيها الكثيرة، وتحديد ظلال المعاني الخاصة بها في الثقافة المنقول منها . فثمة العديد من المفردات والمصطلحات الخاصة بعالم البحار الذي تغنن في وصفه الغربيون غير موجودة في اللغة العربية . وهناك العديد من أسماء النباتات والحيوانات المألوفة في الوطن العربي ليس لها مرادفات في اللغات الأوروبية (مثل الإنجليزية) .

والواقع إن ترجمة نص أدبي لا تعني مجرد الخوض في عملية لسانية بل هي أيضا البحث عن معادلات ثقافية قادرة على أداء المعنى . ويعتبر الباحث يوجين نيدا " السياق الثقافي ذا أهمية قصوى في فهم معنى أية رسالة ، لأن الكلمات لا تملك معاني لها ، إلا إذا وردت في إطار ثقافي كلي ... لذلك فعند تحديد تفسير رسالة يجب أن ننتبه إلى السياق الثقافي الأوسع

لفرض الحصول على مفاتيح مهمة لتفسير معنى السياق (28).

ج-البعد الجمالي :

لقد سبقت الإشارة إلى أن المترجم - بوصفه قارئاً للنص الأدبي وملتقياً لأدبيته - يقف حائراً أمام الاستراتيجية التي ينبغي أن يتبناها : أي بعد في الترجمة يجب أن يوليه الأولوية : هل البعد الثقافي أم البعد الجمالي الذي يتميز به النص ويجعل منه كائننا مستقلاً بذاته ؟

كيف يترجم الأنماط والتراكيب البلاغية ؟ وكيف يترجم الاستعارات والرموز والتشابه ؟ وأين تكمن أوجه هذه الجمالية : أفي البنية المدركة المحسوسة أم في الفكرة ؟ (29) .

يبدو أن الترجمة الجيدة هي التي لا تحقق تناظراً في المضمون (أو المحتوى) فحسب وإنما تحققه أيضاً على الصعيد الأسلوبي والجمالي . وهذا ما حمل بعض منظري الترجمة إلى التمييز بين نصوص بارزة المضمون Contenu وأخرى بارزة الشكل (Forme) (30) . بينما تجاوز آخرون هذا التقسيم إلى البحث عن نصوص مترجمة يعادل تأثيرها في نفس المتلقي الذي يستقبلها في لغة الهدف ذلك التأثير الذي أحدثه النص في نفس المتلقي الأصلي (31) .

لقد أثبتت التجربة أن المعرفة وحدها غير كافية من أجل ترجمة النصوص الأدبية، بل لابد من توافر الذوق الأدبي والموهبة الصادقة ، باعتبار أن الأدب نوع من أنواع الإبداع المتصل بالخيال والعاطفة والمواقف الشعرية التي تعتمد على التلميح والشحن والدلالات الموالية . وهذا يعني أن المترجم يجب أن يكون قادراً على التعبير بأسلوب أدبي واحترام النص الأصلي إلى أبعد حد ممكن مثل الموضوع والشخصيات والخلفية الزمانية والمكانية. فالنص الأدبي ظاهرة جمالية قائمة بذاتها وعمل إبداعي متكامل وينبغي عند ترجمته اختيار ألفاظ مناسبة والاعتناء بجمال العبارة وبعبارة أخرى أن يكون هذا المترجم قادراً على إبداع نص أدبي يترك لدى القارئ أثراً فنياً معادلاً لأثر النص الأصلي . يقول الأستاذ عبده عبود :

"إن مسألة "التعادل" أسسية في الترجمة الأدبية ، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالأبعاد الأسلوبية والجمالية للترجمة . فلكل أدب قومي تقاليده الأسلوبية التي قد تختلف جغريا عن التقاليد الأسلوبية للأدب الأخرى ... وتحقيق "التعادل" مطلب يجب أن تلتزم به الترجمات ، مطلب مثالي أو شبه مثالي ، إذا أصر للمرء على تحقيقه بصورة كاملة يكون كمن يطالب بالحد الأقصى وينشد الكمال ... " (32)

لقد أشرنا عدة مرات إلى أن الترجمة الأدبية هي عملية لغوية وثقافية وجمالية يجد المترجم نفسه فيها يتأرجح بين النقل والإبداع . فهي لا تقتصر على نقل المعنى أو الأسلوب فحسب بل تتعدى ذلك إلى الناحية الجمالية الفنية (33) فترجمة رواية من لغة إلى أخرى ليس بالمهمة السهلة لأنها جنس " تستخدم فيه الأساليب الأدبية المختلفة التي يتوجب على المترجم أن يوجد ما يعادلها أو يقترب منها في لغة الهدف . ففي [مثل هذا الجنس] ترد كثير من التشابيه والاستعارات والكنائيات والرموز وأنواع المجاز المختلفة التي يجب على المترجم أن يعرف كيف يتعامل معها بصورة مناسبة ، كذلك فإن الحوار الروائي يطرح مشكلات ترجمية خاصة ... وفي مطلق الأحوال لا يجوز أن يلجأ المترجم إلى نقل النص الروائي بلغة تتناقض مع سمات لغة النص متقعرة عويصة أو قديمة في ترجمة نص روائي لا تتصف لغته بهذه الصفة مهما تكن المسوغات " (34) .

وفي الحقيقة إن ترجمة النص الروائي تبقى ، في نهاية المطاف قراءة فنية متأنية من جملة قراءات ممكنة . والمترجم يقرأ هذا النص قراءات ويحاول أن يعيد صياغته في قوالب لغوية جديدة ، بصبر وتأن . فهو مطالب " بتقليب النص بحذر شديد بحثا عن كل التأويلات الممكنة ، لأن اللغة الواحدة قد تحتزن لغات كثيرة ، وكل لغة تحتوي مالا يحصى من الأساليب ثم يمعن التنقيب عن غاير النص وعن عصبه المحوري ، ليضبط الحدود الفاصلة بين مستوياته التعبيرية ، ويقف على طبيعة مراجعه الثقافية والأسلوبية ، ويرأب الصدوع النحوية والنسقية

5- عزيز الحاكم ، ترجمة النص الأدبي من المساكنة إلى الانفلات ، مجلة " ترجمان " ع ، 248 ، 8 .

6- ولا بأس أن نشير هنا إلى أن الترجمة المقارنة تهتم بملاحقة هذه المعاني والصيغ والأساليب وهي تنتقل من لغة إلى لغة أخرى ، مثلما تهتم بقدرة اللغة على استيعاب المحمول الفكري والحضاري للغات الأخرى . فعبر هذا التلاقح بل هذا الانفتاح الذي يتم بفضل الترجمة تفصح كل لغة عن ثرائها أو فقرها ، عن مرونتها أو صلابتها . وهذا يعني أن الترجمة جسر أساس لنقل الأشكال الجديدة ، جسر يتيح للغة أن تتطور مثبتة وجودها الفعلي .

7- يرى العديد من الدارسين أن الترجمة العلمية أسهل من الترجمة الأدبية ، لأن دلالة الكلمات في مجال العلوم تلتزم عادة حدودا لا تكاد تتعداها . فدلالة الألفاظ محدودة مضبوطة وليست محل جدال أو نزاع في أغلب الأحيان ، وتتميز الترجمة العلمية بدقتها في نقل المعنى والتقيد الحرفي بالنص الأصلي ، ولا يجوز التصرف فيها في التعبير ، إذ قد يؤدي ذلك إلى تغيير المفهوم العلمي . وبخلاف هذه اللغة العلمية الدقيقة ، تتميز اللغة الأدبية بتعقيداتها الناتجة عن ارتباط متين بالامتخيل مضمونا وبالشعري لغة ، وبالتالي بخروجها عن المؤلف المقترن بوضوح الفهم والتأويل

8- ينظر : عبده عبود ، هجرة النصوص ، 19

9- يقول الباحث البير بنسوسن A Bensousan

« Oui , la fidélité est souhaitable , elle est même exigible . Mais encore faut-il s'entendre sur le sens à donner au mot Fidélité . Il y a , en effet , une fidélité à la lettre et une fidélité à l'esprit ... on ne le sait que trop , toute traduction pose le problème de l'écart entre le littéral et le littéraire , entre le respect , fallacieux , de la lettre et la transposition traduisante : trahissante . En somme , entre le trop près et le trop lion du texte . Et bien ! je pense que la traduction ne peut être , au mieux , qu'un compromis entre ces deux pôles ... »

A . Bensoussan , le langue mordue , in « Equivalences »
volume 20/1-2, P 25

10- لقد طرحت هذه الإشكاليات بحدة شديدة عبر العصور :
الترجمة الحرفية أم الترجمة الحرة ، وبعبارة أخرى الأمانة أم
الأناقة . إنها إشكاليات قسمت الدرس الترجمي بين الترادف
الشكلي والترادف الدينامي ، بين كلمة بكلمة والجماليات الخائفات

11- زهير الوسيني ، الترجمة الأدبية ، تصورات أولية مجلة "
الترجمان " ع2 ، أكتوبر ، 1996 ، 47 ، 48
12- نفسه 49 .

13- لا بد أن يحلل المترجم نصه بدقة أي أن يدرس مدونته
اللغوية من جميع الجوانب ... فهو مضطر إلى القيام بهذا العمل
من أجل اكتشاف أهم المميزات اللغوية للنص الأصلي وبعض أوجه
الصعوبة التي يمكن أن يواجهها.

14- ينظر عبد الله حميد ، المنهجية الازدواجية في الترجمة ،
مجلة " ترجمان " ع2 ، 1997 ، ص36

15- زهير وسيني ، م.س ، 48
ولابد من الإشارة إلى أن الدارسين اقترحوا طريقتين لترجمة
النص : الأولى ترى أن الجمل ليست لها أي أهمية إلا في إطار
النص ككل وأن المعنى الشامل للنص هو المهم . والآخر يشرح
النص تشريحا ويجزئ الجملة إلى أدنى حد ويعول على
جزئياتها للدلالة على المعنى . للمزيد من التفاصيل ، ينظر :
محمد الديدواي ، الترجمة والتواصل ، الدار البيضاء المركز
الثقافي العربي ، 2000 ، ص26

16- إن اللغة نظام يميز مجتمعا عن غيره من المجتمعات . وهي
ليست جداول كلمات تقابل حقائق هي دائما ... ولو كان الأمر
كذلك لسهلت الترجمة ولأصبح بوسعنا أن نترجم ترجمة حرفية
وكلمة بكلمة . ينظر:

G. Mounin , Linguistique et traduction – Bruxelles
Dessart et Mardaga , 1976 , P 61

17- إنه من المستحيل أن يتطابق نظام لغوي معين مع أنظمة
لسانية أخرى مخالفة له . وكفي في هذا الصدد أن نشير إلى

ملاحظة العالم هجلمسلاف Hjelmslev الهامة حيث بين أن دلالة اللغة تقوم على أساس نظام خاص من التقاطعات وبالتالي ترجع إشكالية الترجمة إلى حرصها على خصوصية اللغة من حيث هي ثقافة وفكر وسلوك. ينظر :

خليل نصر الدين ، الفعل الترجمي بين الممارسة اللسانية والتلقي ، مجلة " المترجم " ع 1 ، يناير 2001 ، ص 120 .

18 - عزيز الحكيم ، ترجمة النص الأدبي ، من المساكنة إلى الانفلات ، مجلة " الترجمان " ع 2 1997 ص 18 .

19- تأثير مسألة التركيب على الصعيد العلمي ، جملة من الأسئلة : هل يجب أن نترجم الجملة كوحدة لا تقبل التجزئة ؟ وكيف ينبغي أن نترجمها ؟ وهل يجب أن نحافظ الترجمة على مظهر الجملة الأصلية البنيوي والأسلوبي ؟ وكيف نحافظ عليه ؟ وهل تكون الترجمة كاملة إن نقلت المعنى والمظهر الأصلي وضحت بتراكيب اللغة المنقول إليها ؟ وهل تكون كاملة إذا نقلت المعنى بتراكيب اللغة المنقول إليها وضحت بالمظهر الأصلي ؟ .

20- عزيز الحكيم ، م . س ، 18

21- ينظر : محمد عجينة ، نظريات الترجمة ، ضمن كتاب " نظريات الترجمة " ص 264-265 .

22- إن الثقافة مظهر من مظاهر الحياة البشرية يشمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والتقاليد وجميع المهارات التي يكتسبها الإنسان من المجتمع . وتلعب الترجمة دورا أساسيا في نشر الثقافات عبر البيئات المختلفة .

23- إن البعد الثقافي في الترجمة يشكل عائقا أساسيا أمام

مترجم النص الأدبي . فاللغة تحتوي على مظاهر ثقافية متنوعة على مستوى المفردات ... وينبغي على المترجم عند عملية النقل أن يحدد معاني المفردات والتراكيب كما ترد في السياق الثقافي وذلك حتى يتيح للقارئ الذي لا يعرف ثقافة اللغة الأصلية الفهم والاستيعاب .

24- لقد أشرنا عدة مرات إلى أن الترجمة عملية ذهنية معقدة وشائكة إذ فيها ما هو لغوي وفيها أيضا ما يخرج من حد اللغة ويتجاوزها إلى ما وراء الكلام أي إلى الموقف الذي يندرج فيه

الإبلاغ والسياق الثقافي والحضاري الذي يترجم فيه . وهذا يعني أن ثمة قضايا تتعلق بالمترجم وما ينبغي أن يتحلى به من دراية وأخرى تتعلق بالإبلاغ المراد ترجمته وثالثة تتعلق بإشكالية نقله من لغة إلى أخرى

25- جورج موان ، المسائل النظرية للترجمة ،

26- عبده عبود ، هجرة النصوص ص 88 .

27 - ينظر يوجين نيدا " نحو علم الترجمة " ترجمة ماجد

النجار ص 328

28. نفسه 47

يرى أوجين نيدا أنه في تفسير كتاب العهد القديم مثلا يكون من المهم فهم تلك الخصائص مثل: النظام القبلي السامي ، عادات الثار والانتقام ، السلوك الصوفي للأنبياء ، تعدد الزوجات ، هيمنة الذكر . كما يكون من الضروري أيضا فهم النظرة العبرية للشخصية الإنسانية ، مثلا سلسلة المعاني التالية التي تدل عليها كلمة :
Breath , Respiration , life , soul , spirit , mind , ,Nephesh
living Being , creature , person , and self .

وبالنسبة لكتاب العهد الجديد ، يكون من الأمور

الجوهرية معرفة شيء ما عن " التقسيمات الإغريقية للشخصية " والاستعمال الأفلاطوني الجديد لتلك التعابير مثل :

Dominions , powers , authorities , thrones

وأسرار الأديان والتطورات التنظيمية في الكنيسة القديمة .

29- تتميز التعابير الأدبية عن غيرها من التعابير ، بقدرتها

على وصف حالة أو مفهوم أو شخص أو شيء ، بشمولية ودقة أكثر مما هو ممكن في اللغة العادية ، وبطريقة جميلة تثير الاهتمام .

ومن المشاكل التي تواجه المترجمين في هذا المجال ، القدرة على اختيار الطريقة المناسبة لترجمة الصور البلاغية والتعابير

المجازية وغيرها . وقد تكون هذه التعابير أحادية (أي كلمة واحدة) أو مكونة من عدة ألفاظ ، وقد تكون أمثالا أو رموزا أو حكما . وقد

تفقد عند ترجمتها بعض عناصرها الأساسية إذ لا تحافظ

الترجمة على نفس القوة والتأثير أو الانسجام كما هو الحال في النص الأصلي .

30- تعد ثنائية الشكل والمضمون (المبنى والمعنى) من الثنائيات الجوهرية في طبيعة اللغات . وتصبح هذه الثنائية في حالة الترجمة : الشكل والمضمون في النص الأصلي والشكل والمضمون في النص المترجم . غير أن المترجم لا يتعامل إلا مع ثنائية واحدة ، لأنه مطالب دائماً بأن يكون " أميناً " في عمله . والمراد بالأمانة في هذا المضمون هو نقل مضمون (معنى) في شكل (مبنى) اللغة التي ينقل إليها .

31- عبده عبود ، الأدب المقارن : مشكلات وأفاق ، دمشق ، اتحاد الكتاب العرب ، 1999 ، ص 191 .

4- م ، ن ، 185 .

32- يقول أحد الباحثين :

« Le Traducteur décompose pour recomposer . Il constate alors que , malgré son talent , il est contraint de choisir tantôt plutôt le sens , tantôt plutôt la rythmique ou les sons , tantôt de préférence l'image , tantôt de préférence la respiration de la phrase etc ... Même s'il ne veut rein délaissier , il est obligé de privilégier tel ou tel élément . Il décide parmi tous les compromis qui s'offrent de choisir celui qui lui semble le plus adéquat J . Catteau , OP . Cit , 15

33- عبده عبود ، م . س ، 196

34- عزيز الحاكم ، م . س ، 14 - 15